تطهير الفؤاد
من سيء الاعتقاد

للشيخ / عبدالله بن عوض بكير
تقديم ابنه الشيخ : عبدالرحمن

تحقيق: أكرم مبارك عصبان

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

تطهير الفؤاد من سيء الاعتقاد

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م/ حضرموت : (٢٤٠/ ٢٠١٠)

العنوان: تطهير الفؤاد من سيء الاعتقاد

تأليف : الشيخ/ عبد الله بن عوض بكير

تحقيق : أكرم مبارك عصبان

التنفيذ الطباعي: مطبعة وحدين الحديثة للأوفست

حضرموت - المكلا - ت:٤/ ٣١٦٦١٥

المقاس: ١٤ × ١٨

الطبعة الأولى ٢٠١٠



توزيع دار حضرموت للدراسات والنشر

تلفون: ٣٥٠٥٤٩ - فاكس: ٣٥٠٥٤٨

حضرموت - المكلا - الجمهورية اليمنية

تطهير الفؤاد

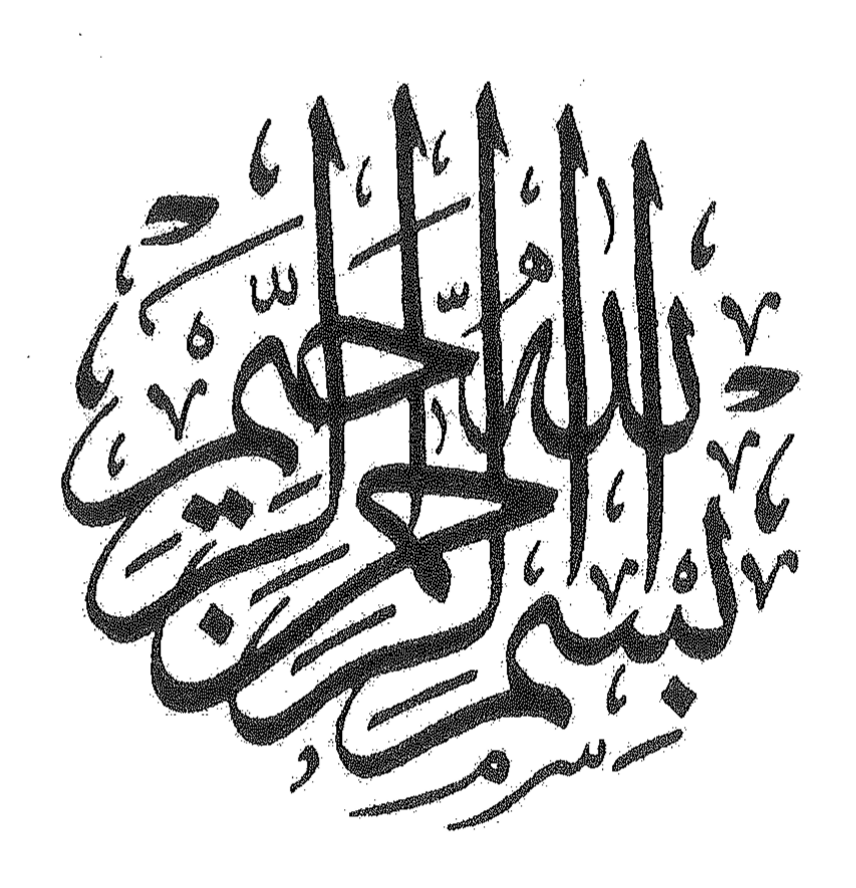
من سيء الاعتقاد

للشيخ عبد الله بن عوض بكير

بتقديم ابنه الشيخ عبد الرحمن

تحقيق

أكرم مبارك عصبان



تمهيد

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه ، وبعد :

مهما علا ران البدع والخرافة وذرائع الإشراك على صفاء الإسلام ونقاء الدعوة فإن غيث التوحيد إذا جاد بوابله يتركه صلدا ، ويسرنا في إصدارات النفحة السنية التي تعنى بالبحوث الجادة ، والرسائل المهمة ، والمقالات القيمة أن نخرج رسالة (تطهير الفؤاد عن سيء الاعتقاد) والتي تأتي من هذه البابة .

وتعد جوهرة نفيسة في عقد النفحة ، ومؤلفها هو العلامة عبد الله بن عوض بكير رئيس القضاء الشرعي للدولة القعيطية بحضرموت لثلث قرن (١٣٥١ ـ ١٣٨٥) هـ ، وقد سار فيه سيرة محمودة تجلت في ما سطره قلم ابنه الشيخ عبد الرحمن في كتاب (القضاء بحضرموت في ثلث قرن) فكان تعريفا بالمؤلف وجهوده العلمية سيما اختياراته الفقهية .

أما جهوده في ميدان الدعوة إلى تجريد التوحيد فتكشف عنه هذه الرسالة ، وهو بها ينتظم في سلك علماء اليمن الأفذاذ كالشيخين الجليلين الصنعاني والشوكاني وغيره ممن رفع للتوحيد رأسا .

وقد طار بجهده في هذا المضمار الركبان حتى وصلت له رسائل من أئمة الدعوة مثل الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ عبد العزيز بن باز نورد في هذا التمهيد رسالة الأول منها .

ففي فتاوى محمد بن إبراهيم ما نصه :

من محمد بن إبراهيم إلى حضرة المكرم فضيلة رئيس القضاة بالمكلا الشيخ عبد الله بكير .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ونسأل الله لنا ولكم الاستقامة على دينه ، والثبات على الإسلام إلى الممات ، وبعد :-

فلا يخفاكم فضل الدعوة إلى الله ، وأنها مقام رسل الله وخلفائهم ، وأنتم أهل كلمة ومقام في بلادكم ، والواجب عليكم أن تقوموا بما أوجب الله من النصيحة والإرشاد ، وتقفوا حياتكم على الدعوة إلى توحيد الله الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، ولا يخفاكم ما ورد في الحديث (فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم) . [1]

وكما تجب الدعوة إلى التوحيد يجب النهي عن ضده مما ابتلي به كثير من عبادة القبور والتوسل بالأولياء والصالحين ، ونعتقد أن هذا الأمر من بالكم ، ولكن أحببنا مذاكرتكم ، ولفت نظركم إلى هذا المهم العظيم ، نسأل الله أن يتولى توفيق الجميع والسلام عليكم ورحمة الله . انتهت الرسالة برقم ص-م-٤٣٦ في تاريخ (٤/ ٣ /١٣٧٧ هـ)[2]

---

[1] متفق عليه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعا .

[2] ١ ـ ١٣ - (١ / ٧٥) .

ورسائل الشيخ ابن باز له عديدة منها المزبــور بتــاريخ ١٢ / ٥ / ١٤٨٣ هـــ في التماس الوكالة في هذه البلاد للجامعة الإسلامية .

وندع القارئ يستمتع بمضامين هذه الرسالة التي رأى الشيخ فيها النقل عن ابن حجر صاحب التحفة لملمح بعيد دون غيره من أئمة دعوة التوحيد ، يرجع إلى اشتهار كتبه عند أهل حضرموت ، وكونه العمدة في الفروع ، ولا يضيره ذلك ما دام المورد واحد ، ولو أكثر من الحوالة على كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب لفرّ بعض الناس منها فرارهم من الأسد .

وقبل ذلك على القارئ أن يجيل النظر ويصوبه في تقديم الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الله بكير بكلامه الرصين وأسلوبه المتين ، لبيان (أن لا إلـــه الله منهج حياة) ، وبعد ذلك كله ينبغي مراعاة ما وضع من تعليقات لا بد منها ، أبى القلم إلا أن يزجيها في هذه الرسالة ، والله نسأل أن ينفع بهذا الجهد إنه ولي ذلك والقادر عليه .

رئيس إصدارات النفحة السنية

أكرم مبارك عصبان

مقدمة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بكير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين ، إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين .

وصلى الله وسلم على سيدي ومولاي محمد بن عبد الله ، الصادق الأمين ، رسول الله إلى كافة خلقه أجمعين، مدعم بكتاب عربي مبين ، حوى فيما حوى من آيات بينات (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين) وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، وبعد :

فهذه رسالة تطهير الفؤاد من سيء الاعتقاد لسيدي وشيخي أبي الشيخ عبد الله بن عوض بكير عالج من خلالها ، وأبان عن طريقها كثيرا من المعتقدات الفاسدة المتفشية بحضرموت وأفصح عن موقف الشريعة الإسلامية من تلك المعتقدات ، ومع أنها رسالة مختصرة فقد حوت الكثير مما تعانيه عقيدة التوحيد من في هذه المنطقة من العالم الإسلامي ، وما تختنق به من أزمة في قضايا التوحيد الصحيح والدين الخالص .

ومع أنها أيضا تكاد تكون محلية فيما تعالجه من قضايا إلا أنها تعالج قضايا في الأغلب الأعم هي مما يضج منها العالم الإسلامي كله ، ويضجر لها الإسلام في كل بقاعه وقاعه ، ولئن لم تكن هي نفس القضايا الموجودة في كثير من بلاد المسلمين ، فهي على الأقل من نوعها (تنوعت العادات والخطب واحد) .

إن تصحيح العقيدة هو الأساس لتكوين المسلم الصحيح ، وما فسد المسلمون إلا يوم فسدت عقيدتهم ، فكل فساد سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو أخلاقي في العالم الإسلامي سببه فساد العقيدة ، ومنشأه انحراف المسلمين عن الصحيح من دينهم ، والقويم من أخلاقهم .

إن لا إله إلا الله وهي مفتاح عقيدة التوحيد ، وقاعدة العقيدة الإسلامية تضع المسلم وجها لوجه مع مسؤوليات المسلم الكامل ، ثم تضعه في موضعه اللائق به سياسيا فهو لا يخضع لأحد إلا الله ، ولذلك نكون له نوعية خاصة ، ثم هو من ناحيته الاجتماعية مثال المسلم المتعاون في مجتمعه ، المنتج من أجل مجتمعه ، يدفعه لذلك إيمانه ، وإن المؤمن لا يكون مؤمنا إلا إذا أحب لأخيه ما يحبه لنفسه . وتبعا لذلك يكون له تفكيره المنسجم مع عقيدته في مجال الاقتصاد ، المستقل عن كل التيارات الأرضية المتقلبة بتقلب الزمن ، وتغير أشكال الحكام .

وهو تفكير ثابت ثبات العقيدة التي يدين بها فلا استغلال لقدرات الغير ، ولا احتكار لمصادر ثروته ولا اعتداء على أملاك الآخرين إلا بمقدار ما تفرضه قواعد العدالة الإسلامية ، وهو حينئذ لا يمثل اعتداء على أملاك الآخرين وإنما — فقط — ينظم طريقة الاستفادة من تلك الأملاك لمالكها وللمجتمع الذي يعيش فيه .

ثم هي بعد ذلك — أي لا إله إلا الله — عنوان الخلق المستقيم له يدين الله بها ، ويعتقد الله ويرتضيه ربا ، والإسلام ونظامه دينا ، ومحمد نبينا ورسولا ، إنها الوسيلة التي تجعل المسلم مسلما نوعا وكيفا ، لا عددا وكما .

إن كلمة الشهادتين — أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله — مفتاح العقيدة وقاعدة الإسلام توجب أن يكون للمسلم نوع لا كم ، وكيف لا عدد ، والكثير من المسلمين اليوم وبكل أسف — وبالأسف كله — يعطون دعاية سيئة للمسلم ، ونقصد بذلك عناية الحكومات المسؤولة إسلاميا ، نقول ما لم يعن بالمسلم إقتصاديا وسياسيا وخلقيا واجتماعيا ، وما لم يعن بتطويره ، فإنه ولا شك سيسيء بكل أشكاله — نظريا وواقعيا — للإسلام .

وتلك مهمة يجب على الحكومات الإسلامية المهتمة فعلا وبصورة جادة وموضوعية بشؤون الإسلام والمسلمين أن تجعل في أول مواد مناهجها لذلك ومن شأنه فكرة إعداد المسلم الصحيح ، أما ترك الأمور للظروف توجهها ، وللقيادات تبلورها فذلك أمر لن يخدم قضية الإسلام والمسلمين .

وأول لبنة يجب وضعها في هذا المجال هي تصحيح عقيدة المسلم ، والتي تجعله شخصا يتفانى في الدفاع عن عقيدته ، ويموت في سبيلها ، مفضلا الموت على حياة المذلة ، والفناء على بقاء الهوان ، مستشعرا أنه سيد رضه ، وقيم شؤونه .

إن عقيدة المسلم هي ركيزة حياته ، فما لم تكن قاعدتها صلبة ومتينة فإنها ستنهار ، وبانهيارها سينهار هو تبعا لها ، إن الأرض الصلبة هي التي يستطاع الوقوف عليها ، أما الرمال والوحل فلن يقف عليها إلا الرمل والوحل .

إن اعتقاد النفع والضر في غير الله يجعل المسلم موزع الأهواء ، مضطرب التفكير ، لا يكاد يستقر له حال من التعلق ، ومن كان هذا حاله فإنه لا يرجى منه إلا أن يمزق المجتمع ، ويقطع أوصاله ، ويفرض عليه الاضطراب ، وعدم الاستقرار .

ونتيجة لذلك فأي مجتمع تتقطع أوصاله كذلك ، ويضطرب تفكيره هكذا ، ويقلق حاله كذلك فإنه يكون مجتمعا غير صالح للحياة ، غير مهيئ للبقاء (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) .([3])

([3]) سورة آل عمران (١٠٣) .

(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) ([٤])

(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) ([٥])

إنه من أجل كل ذلك لم يكن عبثا من المسلمين الكاتبين عن العقيدة ، وعما يصحح العقيدة علما منهم أنها الأساس الصحيح والأولى لحياة المسلم الصحيح ، والأرض الصلبة التي يقف عليها ، ويعين الآخرين على الوقوف عليها (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)([٦])

هذه الرسالة تعالج كثيرا من أوهام المجتمع الحضرمي الساذج ، وتظهر زيف كثير من المعتقدات الفاسدة الملصقة بالدين زورا وبهتانا ، وتكشف حقيقة الداعين إليها ، والمروجين لها ، والعابثين بعقلية الإنسان الحضرمي من ورائها .

([٤]) سورة الأنفال (٤٦) .

([٥]) سورة يونس (١٠٧) .

([٦]) سور آل عمران (١٠٤ ـ ١٠٧) .

إنك لتقرأ تحت عنوان (اعتقادات شركية) بعض الألفاظ والجمل التي تستعملها العامة ، وربما بعض المتزيين بزي العلماء ، ويسمعها العالم المغرض أو المداهن في دينه فلا ينكرها ، إنك لتسمع مثل تلك الألفاظ فتجد أن الشرك يفوح من جوانبها ، ويتطاير دخانه من خلال أحرفها ، إن لها لرائحة كريهة يبغضها الإسلام ، وينفر منها المسلمون الصادقون .

وهي ألفاظ لا يقتصر القول بها على حضرموت وحدها بل في كل بلد إسلامي يوجد من يقولها ، وفي كل بلد إسلامي يوجد من علمائه من يسكت عليها ، كالمقر لها ، والمثبت لمعناها ، وتلك حال يقول الله في حق المتلبسين بها : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)

ومن ذلك ما نجده تحت عنوان (بدعة ما يسمى الحضرات ونتائجها السيئة على العقيدة) .

وتقرأ عن بدعة كثيرا ما تخيل لها المتخيلون من الجهلة وأدعياء العلم ألا أنها بدعة (فلان اشتهر ، وفلان مشهور) وهي بدعة كثيرا ما اختلقها الجهلاء بإيحاء وتدبير من مدعي الصلاح ، أو متسم بسيماء أهل العلم ، ليفتح بها مصدرا من مصادر الرزق ، إذا أعيته وسائل كسب العيش المشروعة ، أو ليقيم على أنقاضها جاها مزيفا يدعمه له أمثاله من ذوي الجاه المزيف ، حيث يقيم

صورة قبر له يقول باشتهاره ، ثم يعمل على تهيئة الجو المناسب ليقيم له يوما لزيارته يؤمه المغفلون من المحسوبين على الإسلام ، والمعدودين عليه ظلما .

ليقرأوا على مقربة منه أو على طريقة الإحاطة به قصة قصد المولد النبوي وهي هناك بدعة ثم يتوسع ذلك المخرج المأساة الدينية فيزيدها كل عام بدعة حتى يشتهر أمرها بين العوام ، وتأخذ مكانها بين بدع الزيارات في المنطقة ، وعندئذ تبدأ في التدفق على صندوقه الهدايا والنذور والقرابين ، وتوقف على مقامه الأوقاف ، وهي ولا شك سحت من سحت الشيطان ، ودخل لا يقل إثما وجرما عن دخل الكهان ، إلا أن هذه العملية تدل على ذهن متفتق للحصول على المال يفوق ذهن الكاهن والمشعوذ والحاوي ، إذ هو يبرم حيلة ودهاء فهو يعمل باسم الدين ، ولا يكلف نفسه عناء أي عمل شاق ، إنه يعمل باسم الدين غالبا والدين منه براء ، والدين من كل أفعاله وحيله براء .

فالدين الحق هو ما جاء من عند الله على لسان عبده ونبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) (٧)

(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (٨)

---

(٧) سورة الزمر (١١ — ١٢) .

(٨) سورة البينة (٥) .

إلا أن مما ينشرح له صدر المسلم وتنفتح له النفس المؤمنة أن بدع الاشتهار الجديدة قد تلاشت ، فلا تكاد تسمع عنها شيئا يذكر ، وأنه على فرض وجودها في أذهان بعض الضالين ، وعلى فرض وجودها وخروجها إلى حيز الظهور عند بعض المنحرفين فإنه لا يوجد لها من يشجعها على المستوى العام وعلى الصعيد الجماهيري كما كانت في العهود السالفة .

بل إن كثيرا من المشاهد القديمة (قبور المشهورين) بدأت تتضاءل قيمتها من الوعي الديني العام بذر بذوره أمثال كاتب هذه الرسالة المباركة مما آتى ثماره في ظهور دعاة مخلصين في دعوقم ، مؤمنين برهم ، وإنهم بإخلاصهم وإيمانهم زادهم الله هدى ، ونفع بهم كثيرا كانوا يسيرون في مهامه الردى وفقنا الله لكل خير . [٩]

كتبه عبد الرحمن بن عبد الله بكير

٢٦ / ٨ / ١٣٩١ هـ

(٩) هذه المقدمة مقتبسة من تقديم الشيخ عبد الرحمن حين طلب منه الشيخ عبد القادر محمد العماري طبع هذه الرسالة وكان قد عنّ له إخراجها ثم عدل عن ذلك .

تطهير الفؤاد من سيء الاعتقاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنـــزه عن الشريك والنظير ، المنفرد بالإيجاد والتدبير ، الغني عن المعاون والظهير ، ألا له الخلق والأمر إليه المصير .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلها لا إله لنا سواه ، وربـــا لا نعبد إلا إياه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل (إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله) ([١٠])، وعلى آله وتابعيه ، وكل عبد أواه .

أما بعد :

فقد أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بـــين يـــدي الساعة بشيرا ونذيرا ، فبلّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكـــشف الغمة ، وهدى من الضلالة ، وبصّر من العمى ، وأوجب الله سبحانه وتعـــالى على كافة المكلفين متابعته وموالاته ، وحرم عليهم مخالفته ومعاداته ، فيجـــب الإيمان به صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به .

([١٠]) حديث ابن عباس مرفوعا رواه أحمد والترمذي انظر صحيح الجامع (٧٥٩٧) .

يجب الإيمان بالله سبحانه إيمانا مطلقا

فمما جاء به صلى الله عليه وسلم وجوب الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، والكفر بما سواه من الآلهة ، وحقيقة الإيمان بالله عز وجل التصديق والجزم بالقلب من غير تردد بوجوده تعالى ، واعتقاد أن الله تعالى متصف بكل كمال ، متره عن كل نقص ، وأنه لا ضار ولا نافع ، ولا معطي ولا مانع ، ولا خافض ولا رافع ، ولا قابض ولا باسط ، ولا خالق ولا رازق ، ولا محيي ولا مميت إلا هو عز وجل (قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً) .[11]

كل ما في الكون بقضاء وقدر

واعتقاد أن جميع الكائنات بقضائه وقدره ، فلا يقع في الكون من خير أو شر ، نفع أو ضر ، حلو أو مر ، طاعة أو معصية ، حركة أو سكون إلا بقضاء الله وقدره ، قال تعالى (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) . [12]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس) .[13]

---

[11] سورة الأحزاب (١٦) .

[12] سورة الحديد (٢٢) .

[13] حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا رواه مسلم وأحمد بلفظ (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس) .

وجوب الاعتماد على الله وحده

وإنه يجب التعويل والاعتماد عليه سبحانه وتعالى في جميع الأمور جليلها ودقيقها ، ويحرم الالتفات إلى غيره تعالى من المخلوقين ، والتعويل على أحد منهم في شيء ما ، بل من اعتقد أن أحدا من المخلوقين ينفع أو يضر فقد أشرك ، قال تعالى (لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا)([14]) ، فإذا كان المخلوق عاجزا عن جلب منافع نفسه ، ودفع مضارها فبالأولى أن يكون عاجزا عن ذلك مع الغير قال تعالى (وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ) ([15]) ، فيجب على الإنسان أن يعتقد أن النفع والضر والخير والشر من الله لا من غيره .

لا يجوز سؤال غير الله ولا دعاؤه

ويجب على المسلم أن لا يسأل إلا الله ، وأن لا يدعو إلا الله فقد قال تعالى (ادعوني أستجب لكم) وقال تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) وقال تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) فلا يجوز الركون إلى غير الله ، ولا يجوز التعويل على غيره تعالى في شيء من الأمور الدنيوية والأخروية ، ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موصيا ابن عباس وهو بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (إذا سألت فاسأل الله وإذا

([14]) سورة الرعد (١٤) .

([15]) سورة سبأ (٢٢) .

استعنت فاستعن بالله) ([16]) ، أي إذا أردت سؤال سيء فاسأل الله أن يعطيك إياه ، وإذا أردت الإعانة على شيء فاسأل الله أن يعينك عليه قال تعالى (واسألوا الله من فضله) .

ولا تسأل غيره فإن خزائن الجود بيده ، وأزمتها إليه ، إذ لا قادر ولا معطي ولا متفضل غيره ، فهو أحق أن يقصد ، فإنه المعطي المانع ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، له الخلق والأمر ، وبيده النفع والضر ، وهو على كل شيء قدير .

ومن يتوكل على الله فهو حسبه

وبقدر ما يميل القلب إلى مخلوق يبعد من الله تعالى لضعف يقينه ، ووقوعه في هوة الغفلة عن حقائق الأمور التي تيقظ لها أصحاب التوكل واليقين ، فأعرضوا عما سواه ، وأنزلوا جميع حوائجهم بباب كرمه وجوده ، أنه المتكفل بكل متوكل ، بما يحبه ويتمناه ، كما قال عز من قائل (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) مع علمهم بما طلبه الله من عباده من سؤاله والرغبة فيما عنده ، ومع تبشيرهم بالإجابة في قوله تعالى (ادعوني أستجب لكم) ومع ثنائه تعالى على من دعاه بغاية الذلة والخشوع في قوله سبحانه (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) .

([16]) سبق تخريجه .

وفي الحديث (من لم يسأل الله يغضب عليه ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله إذا انقطع) . ([١٧])

وأخرج المحاملي وغيره قال الله تعالى (من ذا الذي دعاني فلم أجبه ، وسألني فلم أعطه ، واستغفرني فلم أغفر له ،وأنا أرحم الراحمين) ([١٨])

وقد قال لموسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام (يا موسى سلني في دعائك حتى من ملح عجينك) ، وقد قيل :

الله يغضب إن تركت سؤاله   وبُنيّ آدم حين يسأل يغضب

فشتان ما بين هاتين ، وسحقا وطردا لمن علق بالأثر وأعرض عن العين .

الاستعانة لا تكون إلا بالله

وقوله عليه الصلاة والسلام (وإذا استعنت فاستعن بالله) أي إذا طلبت الإعانة على أمر من أمور الدنيا والآخرة فاستعن بالله لما علمت أنه القادر على كل شيء ، وغيره عاجز عن كل شيء ، حتى عن جلب مصالح نفسه ، ودفع مضارها ، والاستعانة إنما تكون بقادر على الإعانة ، وأما من هو كلّ على مولاه ، لا قدرة له على إنفاذ ما يهواه لنفسه فضلا عن غيره فكيف يؤهل

([١٧]) رواه الترمذي عن أنس مرفوعا ، وقد سكت عنه الحافظ في الفتح ٢ / ٣٠٠ ، وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٩٤٦) وضعيف الجامع ، وزاد البزار وحتى يسأله الملح ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ /٢٢٨ : ورجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم وهو ثقة .

([١٨]) المحاملي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ، وقد أورده ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٤٨٠/١) ، ومعناه صحيح .

للاستعانة به ، أو يستمسك به قال تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) ، قدم المعمول ليفيد الحصر والاختصاص ، فمن أعانه مولاه فهو المعان ، ومن خذله فهو المخذول ، ومن ثم كانت لا حول ولا قوة إلا بالله كنزا من كنوز الجنة لتضمنها براءة النفس من حولها وقوها إلى حول الله وقوته .

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : (لا تستعن بغير الله يكلك الله إليه) .

فيجب الاعتماد على الله عز وجل في جميع الأمور ، وشهود أنه سبحانه وتعالى وحده المؤثر في الوجود ، النافع الضار وغيره ليس له من النفع والضر شيء ، ويجب الإعراض عما سواه سبحانه إذ من تيقن ذلك لم يشهد ضرع ونفعه إلا من مولاه ، ولم ينزل حاجته إلا به سبحانه وتعالى ، كما وقع لسيدنا الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام لما ألقي في المنجنيق ليلقى في النار جاءه جبريل وقال (ألك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا) ([19]) ، فنعوذ بالله من اعتقاد نقع أو ضر في غيره تعالى فإن ذلك هو عين الشرك الأصغر بل الأكبر كما لا يخفى ، انتهى من فتح المبين للشيخ ابن حجر بتصرف . ([20])

([19]) رواه ابن جرير في تفسيره عن سليمان التيمي عن بعض أصحابه قال، وذكره ، وذكره البغوي في تفسير سورة الأنبياء عن كعب الأحبار وأشار إلى ضعفه .

([20]) فتح المبين في شرح الأربعين تأليف ابن حجر الهيتمي .

دعاء غير الله شرك

فلا يجوز لأحد أن يعتمد على غير الله ، أو يدعو غير الله ، فإن ذلك قد يجر إلى الشرك ، إذا لم يكن شركا صريحا ، قال تعالى (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ) ([٢١]) وقال تعالى (ومن يدعُ مع الله آخرَ لا برهانَ له به) وقال تعالى (أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) . ([٢٢]) وقال تعالى (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) .

ألفاظ شركية تلفظها العامة

وقد فشت في هذه الأزمنة على ألسنة العامة ونحوهم ألفاظ قبيحة تجر إلى الكفر ، بل ربما كانت هي الكفر بعينه ، والعياذ بالله ، فيجب إرشادهم وتحذيرهم من تلك الألفاظ ، فمنها قولهم عند وقوع مكروه بهم أو عند نحو قيام أو قعود يا الله ويا الوالدين ، يا الله ويا أهل السلفّ ، يا الله ويا أهل باعلوي ، يا الله وزيا الشيخ فلان ، أو السيد فلان ونحو ذلك ، فظواهر الأدلة تنبئ أن هذه الألفاظ شرك والعياذ بالله .

([٢١]) سورة الأحقاف (٥) .

([٢٢]) سورة النمل (٦٢) .

اعتقادات شركية تعتقدها العامة

ومنها أن بعض الصيادين ونحوهم يعتقدون أن لبعض المخلـوقين تـأثيرا في سوق السمك إلى شباكهم (الجرف وغير الجرف) وأتباعه فيها فيطلبون منـه ما ذكر ، ويدفعون له على ذلك النقود ونحوها لاعتقادهم أن له تأثيرا في ذلك ، وهذا عين الشرك بالله ، والمأخوذ على ذلك حرام لا يجوز إعطاؤه ، كما لا يجوز قبوله على هذا الوجه .

يجب التحذير من كل ما يجر إلى الشرك

فيجب التحذير من مثل هذه البوائق القادحة في الإيمان قال تعـالى : (لَـا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا) .([٢٣])

قال بعض المفسرين : الخطاب إما للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره أو لكل مكلف وهو الأولى ، والمعنى لا تشرك أيها المكلف غير الله مـع الله لا في ظاهرك ولا في باطنك بل خلص قلبك من التعلق بغيره والمحبـة لـسواه ، ولا تجعل الغير في خيالك ، فإنه نقص عن مراتب الأخيار إ . هـ صاوي . ([٢٤])

([٢٣]) سورة الإسراء (٢٢) .

([٢٤]) حاشية الصاوي تفسير سورة الإسراء (٢٢) .

وجوب تصحيح الاعتقاد وتصفية الباطن

فيتحتم ويجب على كل مكلف أن يصحح اعتقاده ، ويصفي باطنه من الأمور التي تقدح في إيمانه سيما في هذه الأزمنة التي انتشرت فيها البدع ، وخفيت فيها السنن ، وكثرت فيها الاعتقادات الفاسدة ، والأقوال الفظيعة الموجبة لأن تكون شركا ، أو وسيلة إليه ، والتبس الحق بالباطل فيها ، وأوقع الشيطان الشر في معرض الخير فقد جاء (إن الشيطان ليفتح سبعين بابا للإنسان من الخير ليفتح عليه بابا واحدا من الشر) .(٢٥)

وقد دخل على العامة من هذه الجهة ، فإنه دخل عليهم من باب محبة الصالحين ، وهو باب خير إلا أن الشيطان ضم إليه أبوابا من الشر ، فتوغلوا في ذلك ، وأفرطوا حتى خرجوا عن الميزان الشرعي ، أو الحد العرفي ، فاعتقدوا اعتقادات تؤدي إلى الشرك ، أو هي الشرك بعينه ، وفعلوا أفعالا تضاهي أفعال المشركين ، أو هي هي بنفسها .

---

(٢٥) لم أجد تخريجه .

وأقر بعض المتشبهين بالعلماء العامة فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل ، فإذا قيل لهم : هذا منكر وضلال ، يقولون : قد فعل ذلك من هو كذا وكذا ، وفعل ذا فلان وفلان ونحن مثلهم .

ولا محالة أن هذه المقالة مقالة المشركين ، وأخلاق المحادين لله ورسوله قال تعالى في حقهم (إنّا وجدنا آباءَنا على أمة وإنّا على آثارهم مقتدون) وقال تعالى (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا)[٢٦]

فتقول لأحدهم : قال الله قال رسوله فيقول لك : قال فلان ، فعل فلان ، فلا جرم أن مثل هذه الأفعال أخلاق الجاهلين المشركين بالله المحادين لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

بدع فاشية أو هي كفر صريح

ومن بدعهم أنهم إذا أتوا قبر صالح ونحوه ينادونه كنداء الله ، فبعضهم يناديه أريد ولدا ! وبعضهم يناديه أريد مالا وبعضهم يطلب منه نصرا على عدوه ! وبعضهم يطلب تسهيل طريق سفر ، وقبائحهم في هذا كثيرة شهيرة لا تخفى .

---

(٢٦) سورة النمل (٦٧ ـــ ٦٨) .

ومن البدع اجتماع طائفة من الناس في بعض ليالي الأسبوع في مسجد أو غيره ، ويحضرون دفا أو أكثر من دف مع جملة آلات لهو أخرى ، وينشدون شيئا من الشعر بألحان خارجة عن حد الشريعة ، ويضربون بتلك الآلات فتسمع لها أصوات هائلة مزعجة ، تكاد تذهب السمع لهوا ولعبا ، وربما حصل منهم مع ذلك تكسر ، وينسبون ذلك لبعض الأكابر كسيدي الحبيب علي بن محمد الحبشي ونحوه من الصالحين ، فإذا فرغوا من ذلك أخذوا يدعونه كدعاء الله بقولهم : يا حبيبنا علي شيء لله ، يكررون ذلك مرارا كثيرة .

وذلك من البدع المنهي عنها ، ووسيلة من وسائل الشرك إن لم يكن شركا قال الله عز وجل (وأنّ المساجدَ لله فلا تدعو معَ الله أحدا) قال علماء التفسير (بأن تشركوا مع الله غيره كما كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا) ، وقيل المعنى (أفردوا المساجد بذكر الله تعالى ، ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا) ([٢٧]) ، فتأمل ذلك ، وزن بميزان الشرع والإنصاف تلك الأفعال ، فلا تجدها إلا ضلالة خارجة عن دائرة الشريعة ، لا تستند إلى دليل من الكتاب ولا من السنة ، فالحلال ما أحله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله ، ولا التفات إلى ما خالف الحق الصراح ، وقد قيل (كل يؤخذ من كلامه ويترك إلا صاحب القبر الشريف صلى الله عليه وسلم) .

([٢٧]) سورة الجن (١٨) .

فإذا علمت ذلك فاعلم أنه يجب منع ذلك ، وتطهير المساجد التي يفعل فيها شيء من هذا العار ، مع ما يترتب عليه من تعطيل الوظائف ، فإنهم في تلك الليلة يعطلون وظيفة المسجد من قراءة قرآن أو دروس دينية عامة وغيرها لشأت تلك البدعة ، بل حتى الأذان يوقعونه في غير وقته محافظة على تلك البدعة ، وتهاونا بسنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، فإنهم يؤذنون قبل مغيب الشفق الأحمر ، والساعة إذ ذاك بعد المغرب واحدة إلا عشرين دقيقة ، وتارة إلا عشر دقائق بينما وقت العشاء يدخل بمرور ساعة ونحو عشر دقائق بعد مغيب الشمس .

وحينئذ يصلي بذلك الأذان الواقع وقت المغرب ـــ أو على الأقل في غير وقت العشاء ـــ كثير من النساء القواعد في بيوتهن ونحوهن ممن يعتمد في دخول أوقات الصلوات على أذان المساجد ، فباءوا بإثمهم وإثم غيرهم .

فيجب إجبار أئمة المساجد وقهرهم على ترك تلك البدع المضلة ، ويجب نزع أوقاف المساجد التي تحت أيديهم ، ومنع الأجرة عليهم لكونهم لا يستحقونها لإخلالهم بالوظائف التي عليهم ، وإلا فإنهم أكالون الأوقاف بغير حق ، ويحرم على ناظر الوقف أن يدفع إليهم شيئا منه ، ويجب على كل مؤمن أن يبذل جهده في إبطال هذه القوادح في الدين ، والتي صار منكرها عدوا لهم ، والمتمسك بها قريبا منهم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

أكثر البدع محدثة في الجهة

وهذه القبائح م تكن موجودة في الجهة عندنا ، وإنما ابتدعها بعض من طبع الله على قلبه ، وألقاها الجهلة فاستمسكوا بها حتى أشركوا مع الله في الدعاء في بيوته غيره ، وبنوا عليها مفاسد كثيرة حتى أنها تصدر من بعضهم ألفاظ تدل على الكفر كما نشاهده ونسمعه بآذاننا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا نعتقد رضا الصالحين بمثل هذه الأحداث في الدين .

الحبشي والمبتدعة

ولقد بلغنا عن العلامة ــ المغفور له ([٢٨]) ــ السيد علي بن محمد الحبشي رضي الله عنه أنه نفى بعض المتنطعين عن مجلسه ، وأجلاه عن مواطن قربه لما قال إن الحبيب علي أفضل من الحبيب أحمد بن حسن العطاس ، أفتراه يكون راضيا بمثل هذه المخازي التي يضيفونها إليه اليوم ، لا والله لا يكون راضيا أبدا قط ، فأقواله وأحواله تنبئ عن هضم نفسه ، فمن أقواله التي تشهد باعترافه قوله في بعض قصائده :

أثقلتني الذنوب والأوزار   أين منها الخلاص أين الفرار

ومنها قوله :

ما لي من الأعمال إلا أنني   أحسنت ظني فيك يا وهاب

([٢٨]) أسلوب إنشاء على سبيل الدعاء .

وله في ذلك المعنى شيء كثير شهير ـــ نفعنا الله به ـــ فسيرته سيرة نبوية ، وأخلاق مصطفوية فلقد مشى على منهج آبائه الكرام من السلف الصالح ، وسيرهم مشهورة لا تخفى ، غنية عن زيادات هؤلاء الملحدين ، الذين ابتدعوا أشياء مباينة لأصول الشريعة . ([29])

وقد كان ـــ رضي الله عنه ـــ يحب الصالحين المحبة التامة ، ولم يفعل مثل هذه الأفاعيل ، ولم يدع أحدا من دون الله كما فعل هؤلاء ، فإنه إن توسل لم يجاوز الميزان الشرعي ، وإن أثنى لم يجازف كما تحكيه أقواله .

التوسل غير الدعاء

وأما هؤلاء فقد ارتكبوا لجة مبهمة ، وسبيلا مظلمة تأباها قواعد الملة المحمدية ، وتدفعها الدلائل الشرعية ، وتمجها الأسماع الأبية ، ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من السلف مثل هذه الأمور التي هي من أفعال الجاهلية ، الموصلة إلى الشرك ، المشار إليه بقوله صلى الله عليه وسلم (أولئك قوم إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) أخرجه الشيخان وأحمد والنسائي . ([30])

([29]) ليت التراث الذي ورثه المتأخرون ـــ مما يطفح بمفردات الغلو ـــ عن متصوفة حضرموت ومنه كنوز السعادة الأبدية يكون من زيادات الملحدين .

([30]) أخرجه البخاري (١ / ٤١٦، ٤٢٢) ومسلم (٢ / ٦٦ - ٦٧) وأحمد (٦ / ٥١) .والنسائي (١ / ١١٥)

والمعنى في النهي عن اتخاذ القبر مسجدا لئلا يتخذ ذريعة إلى الشرك ، ودعاء غير الله سيما في المساجد على مثل تلك الحالة أشد وأعظم ضررا في الدين من ضرر اتخاذ القبر مسجدا .

وليس ذلك من التوسل في شيء ، فإن التوسل مشروع عند أهل السنة والجماعة ، كما في الأحاديث الصحيحة ، لكن ينبغي الدخول من بابه ، وأما دعاء المخلوق وندائه كدعاء الله ، واعتقاد أنه ينفع أو يضر فذاك إحداث دين لم يكن ، قال الله تعالى (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) . (٣١)

قال المفسرون : كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة فقال تعالى لهؤلاء الذين تدعوهم عبادي يرجون رحمتي كما ترجوها ويخافون عذابي كما تخافونه ، ويتقربون إلي كما تتقربون إلي ، بل من كان أقرب منهم في الدرجة فهو أشد خضوعا وخوفا ولا يرضون بكونهم معبودين من دون الله والدعاء مخ العبادة كما في الحديث . (٣٢)

---

(٣١) سورة الإسراء (٥٦ ــ ٥٧) .

(٣٢) أخرجه الترمذي وقال: (حديث غرب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة) إ . هــ وابن لهيعة ضعيف لسوء حفظه .

وحينئذ كيف يسوغ أن يدعى مع الله غيره ، سيما في بيوته ، فليس ذلك إلا وسائل للشرك ، أو شرك صريح ، وحاشا الحبشي أن يكون راضيا بتلك القبائح ، لا والله لا نعتقد رضاه بذلك أبدا ، بل نعتقد أنه لو كان حيا لهددهم ولتبرأ منهم ، ومن قبائحهم تلك ، ولعمري إنه لبرئ منهم ، كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم (من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار) ([٣٣]) ، فكيف يكون الحبيب علي مثلا محبا لمثل هذه الضلالات ، ولا والله ليس لها بمحب .

المبتدعون جهلة غير مؤتمنين على الشريعة

ونقول أولا وقبل كل شيء من هم هؤلاء الذين أحدثوا هذه الأحدث ؟ أهم ممن يرجع إليهم ويعول عليهم ؟ لا والله ما أحدث ذلك إلا زنادقة سوقة أغبياء جهلاء ، ليسوا أهلا لأن يقتدى بهم ، ولا مؤتمنين على الشريعة ، وأي حجة لهم على ذلك ؟ وأي دليل لهم على التقرب بالمهالك ؟

فقد نسبوا إلى الحبشي وإلى غير الحبشي أمورا يجب أن يكون مبرأ منها بمقتضى علمه وعمله ، واعتقدوا فيه اعتقادات لا يمكن أن يرضى بها لذلك : فمن قبائحهم أنهم يعتقدون أن الحبيب المذكور أفضل من جميع الأكابر من العلويين وغيرهم ، وذلك أمر غيبي لا اطلاع لأحد عليه ، فمن أين علموا حقيقة ذلك ؟

([٣٣]) رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن معاوية انظر صحيح الجامع (٥٩٥٧) .

ومنها : أنهم لا ينشدون في مجالسهم إلا كلامه دون كلام غيره غلوا منهم .

ومنها : أنهم يدعونه كدعاء الله في جميع الأوقات حتى أنهم جعلوا ذلك الدعاء ردا مؤكدا في بعض ليالي الأسبوع ، ويشرفون تلك الليلة على غيرها من الليالي حتى أنهم يعظمونها على ليلة الجمعة ويسمونها ليلة علي ، وبعضهم يدعونه عند قيامهم وقعودهم ، وابتداء سيرهم ، حتى يدعونه عند المهمات أكثر من دعاء الله ، وهذا أمر مخوف ، وحال خطير ، والعياذ بالله ، والله أعلم ببواطن الأمور .

وعلى كل حال فقائل هذه الألفاظ هالك إما بشرك ، أو الوقوع في مهلكة عظيمة ، وقد خرج بعض هؤلاء المتعمقين الموغلين من بعض المدن إلى بعض لقرى فقيل له : أنت ومن خرجت ؟ فقال : أنا وعلي ! يعني سيدي الحبيب علي المذكور ، فبالله ترى كيف انتهى الحال فلا حول ولا قوة إلا بالله .

بداية عبادة الأوثان في الأرض

وإنه ليوشك على تطاول الأزمان وتجدد مثل هذه البدع وإقرارها أن تتخذ التماثيل والصور وتعبد من دون الله ، فإن أول السيل قطر ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لتركبن سنن من قبلكم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) (٣٤)

---

(٣٤) رواه الحاكم عن ابن عباس بلفظ (لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر و ذراعا بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم) انظر صحيح الجامع (٥٠٦٧) .

فأصل شرك قوم نوح عليه الصلاة والسلام بمثل هذه البدع ، قال الله تعالى (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا . وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا)(٣٥)

قال محمد بن كعب : هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح ، فلما ماتوا كان أتباعهم يقتدون بهم ، فجاء إبليس وقال لهم : لو صورتم صورهم كان ذلك أنشط لكم وأشوق إلى العبادة ، ففعلوا ذلك ، ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس : إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم ، فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك ، وسميت الصور بهذه الأسماء لأنهم صوروها على صورة أولئك القوم الصالحين من المسلمين.

وروى سفيان عن محمد بن قيس في قوله تعالى (وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) قال : كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا ، وسموها ، ففعلوا فلم تعبد حتى هلك أولئك ونسخ العلم فعبدت الأوثان إ . هـ خازن . (٣٦)

وهذا مشهور في كتب التفسير والحديث كالبخاري وغيره .(٣٧)

---

(٣٥) سورة نوح (٢٣ ـــ ٢٤) .

(٣٦) تفسير الخازن ٧ / ١٥٦ .

(٣٧) تفسير ابن جرير وابن كثير سورة نوح (٢٣) ، وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن الأوثان التي كانت في قوم نوح صارت في العرب بعد ..

وإنه أيضا ليوشك أن يحدث في هذه الأمة مثل ما حدث فيمن قبلهم خصوصا إذا ما أقرت مثل هذه البدع و لم تنكر سيما وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لتركبن سنن من قبلكم ..) الحديث

فائدة :

قال الشيخ ابن حجر في فتح المعين في الكلام على البدع المحرمة : (ومنه ما عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق حائط أو عمود وتعظيم نحو عين أو حجر أو شجرة لرجاء شفاء أو قضاء حاجة ... وقبائحهم في هذا ظاهرة غنية عن الإيضاح والبيان ، وقد صح عن الصحابة رضي الله عنهم مروا بشجرة سدر قبل حنين كان المشركون ينوطون بها أسلحتهم ـ أي يعلقونها بها ـ فقالوا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال صلى الله عليه وسلم :

(الله أكبر ، هذا ما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم ...) [٣٨] إ .هـ [٣٩]

---

(٣٨) روا الترمذي عن أبي واقد الليثي (٢١٨٠) .

(٣٩) ذكره في فتح المعين في حديثه البدعة السيئة .

نهي الإسلام عن البدع حسم لوسائل الشرك

وقد جاء الإسلام بحسم هذه المواد التي هي وسائل للشرك ، ومن ثم اختفت الشجرة التي كانت بيعة الرضوان تحتها لئلا يحصل الافتتان بها كما هو مذكور في كتب التفسير . ([٤٠])

وقيل أن سيدنا عمر بن الخطاب بلغه أن قوما يأتون الشجرة فيصلون عندها فتوعدهم ، ثم أمر بقطعها فقطعت ([٤١]) ، وما ذاك إلا حسم وقطع أسباب الشرك .

([٤٠]) روى البخاري في صحيحه عن ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال :(رَجَعْنَا مِنْ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَمَا اجتَمَعَ مِنا اثْنَانِ عَلَى الشجَرَةِ التِي بَايَعْنَا تَحتَهَا كَانَتْ رَحْمَةً مِنْ اللَّهِ) وروى أيضا أن والد سعيد بن المسيب كان فيمن بايع تحت الشجرة قال : فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها ، وفي رواية : فعميت علينا .

([٤١]) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢ /١٠٠ عن نافع أن عمر بن الخطاب بلغه أن ناسا يصلون عندها ، فأوعدهم ، وأمر بها فقطعت ، قال الحافظ في فتح الباري ١١ /٤٩٠ إِسْنَاده صَحِيح إ ، هـ . ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ٢ /٢٦٩ ، ورجاله رجال الصحيح ، قال الألباني في كتابه تحذير الساجد ١ /١١٢فلعل الواسطة بينهما عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، ولكنه أشار إلى ضعف الرواية لهذا الانقطاع .

ومن العجب غمز الرافضة لأمير المؤمنين عمر في ذلك كما في شرح نهج البلاغة: ١ / ٥٩ – ٦٠ وشرحه لابن أبي الحديد: ٣ / ١٢٢ ، ولكن العجب ينقضي إذا علمنا تعلقهم بالقبور والاستغاثة بالأئمة ونيلهم من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد أبطل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأمور وحسم مادها ، وسد ذريعتها ، حتى لعن صلى الله عليه وسلم من اتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى فيها ، ونهى عن الصلاة إلى القبور ، وأرسل علي بن أبي طالب فأمره أن لا يدع قبرا مشرفا إلا سواه ، ولا تمثالا إلا طمسه ومحاه ، ولعن صلى الله عليه وسلم المصورين ، فعن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (إني لأبعثك على ما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبرا مشرفا إلا سويته ـ وفي لفظ ـ ولا صورة إلا طمستها) أخرجه مسلم . (٤٢)

والمراد بالقبر المشرف المرتفع البناء ، ومعنى تسويته أي هدمه وجعله مساويا بالأرض .

جميع بدع القبور منافية للدين

وبناء القبور وتشريفها كبناء القباب فوقها ، واتخاذها مساجد ، واتخاذ التوابيت المعروفة لها ، وإيقاد السرج عليها ، كل ذلك من البدع المخالفة لدين الله على ألسنة جميع الرسل ، وفاعل ذلك ملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد في تحريمها أحاديث صحيحة صريحة لا تقبل التأويل حتى لعن فاعلها ، ولكن لغلبة الجهل انعكس الحال ، حتى صار جمهور الناس ينكرون على من أنكر تلك البدع ويعدونه مبتدعا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(٤٢) رواه مسلم وأحمد والأربعة إلا ابن ماجة .

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل موته :(لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا)قالت عائشة ولولا ذلك لبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجدا (٤٣)

واتخاذ القبر مسجدا هو أن يتخذ للصلوات كما تبنى المساجد لذلك والمكان المتخذ مسجدا إنما يقصد فيه عبادة الله وحده ، ودعاؤه لا دعاء المخلوقين .

فحرم صلى الله عليه وسلم أن تتخذ القبور مساجد تقصد للعبادة كما تقصد المساجد ، وإن كان القاصد لذلك إنما يقصد عباد الله وحده لأن ذلك ذريعة إلى أن يقصد المسجد لأجل صاحب القبر ، فنهى صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد لئلا يتخذ ذلك ذريعة إلى الشرك بالله .

الفعل المفضي إلى مفسدة ممنوع شرعا

والفعل إذا كان يفضي لإلى المفسدة وليس فيه مصلحة راجحة ينهى عنه كما ينهى عن الصلاة في بعض الأوقات لما في ذلك من المفسدة الراجحة ، وهو التشبه بالمشركين الذي يفضي إلى الشرك ، فلهذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند استوائها وعند غروبها لما في ذلك من التشبه بالمشركين فإن لهم عبادة في هذه الأوقات . (٤٤)

---

(٤٣) حديثا عائشة أحدهما بلفظ : لعنة الله على اليهود ... متفق عليه ، الثاني للبخاري وأحمد بلفظ لعن الله اليهود ..وفيه لولا ذاك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا .

(٤٤) حديث عمرو بن عبسة وفيه (وحينئذ يسجد لها للكفار) . وقال في تعليل النهي عن الصلاة عند استواء الشمس : (فإنه حينئذ تسجر جهنم) . أخرجه مسلم (٢ / ٢٠٨ – ٢٠٩) .

ونهى عليه الصلاة والسلام عن البناء على القبور واتخاذها مساجد ، وعن إيقاد السرج عليها لما فيه من التشبه بالمشركين أيضا .

ومن هذا القبيل دعاء غير الله ، أو إشراكه مع الله في الدعاء فهو من التشبه بالمشركين الذين يدعون آلهتهم من دون الله ، بل هذا أقبح قدحا في الدين ، وأعظم ضررا من فعل الصلاة في تلك لأوقات المنهي عن الصلاة فيها ، ومن البناء على القبور ، كيف وقد نهى الله في كتابه العزيز عنه في مواضع عديدة .

وهذا إذا كان الداعي معتقدا أن النافع الضار المؤثر في الوجود هو الله تعالى ، وأما إذا كان معتقدا أن المخلوق المدعو له تأثير في شيء ما ، أو يعتقد فيه نفعا أو ضرا فهو مشرك قطعا .

وقد عمّ وطمّ التمسك بالبدع ، وأسباب الشرك ، ورسخت في قلوب الجهلة ولم ينكرها أحد ، ومن أنكرها شمروا له عن ساق الجد بالإغلاظ له في القول ، وعدم القبول منه ، فما ترى لو فرض أن أحدا من خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم موجود اليوم ، أكان يقرهم على تلك البدع ووسائل الشرك ؟ كيف وقد توعد عمر بن الخطاب من صلى تحت شجرة بيعة الرضوان بالضرب الموجع ، ثم حملته الغيرة الإسلامية على قطعها ، محافظة منه على حسم البدع ، وإبطال أسباب الشرك .

وقد ذكر الشيخ ابن حجر في الزواجر أن اتخاذ القبور مساجد ، وإيقاد السرج عليها ، واتخاذها أوثانا ، والطواف بها ، واستلامها ، والصلاة إليها ، من كبائر الذنوب والعياذ بالله ، وذلك للأحاديث الصحيحة الدالة على أن هذه الأشياء كبائر ، وهاك نص عبارته رضي الله عنه ونفعنا به : (الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السرج عليها ، واتخاذها أوثانا ، والطواف بها ، واستلامها ، والصلاة إليها ، ثم ذكر الأدلة في ذلك فقال :

أخرج الطبراني بسند لا بأس به عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال عهدي بنبيكم قبل وفاته بخمس ليال فسمعته يقول (إنه لم يكن نبي إلا وله خليل من أمته ، وإن خليلي أبو بكر بن أبي قحافة ، وإن اللّٰه اتخذ صاحبكم خليلا ، ألا وإن الأُمم قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مسَاجد وإني أنهاكم عن ذلك ، اللهُم إني بلغت ثلاث مرات ،ثم قال اللّٰهم اشهد ثلاث مرات (٤٥)

والطبراني (لا تصلوا إلى قبر ، ولا تصلوا على قبر). (٤٦)

---

(٤٥) رواه الطبراني وهو صحيح لغيره انظر صحيح الترغيب ٢ / ٢٨٠ .

(٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا انظر صحيح الجامع (٧٣٤٨) .

وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حِبان عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما : (لعن رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم زائراتِ القبور والمُتخذين عليهَا المَساجد والسرج) .(٤٧)

وأخرج مسلم : (أَلا وإن من كان قبلكم كانوا يَتخذون قبور أنبِيائهِم مساجد فإني أنهاكم عن ذلك) .(٤٨)

وأخرج أحمد : (إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، واَلذين يتخذون القبور مساجد) .(٤٩)

وأخرج أحمد وأبو داود والترمذِي وَابن ماجة والحاكم : (الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحَمام) . (٥٠)

وأخرج الشيخان وأبو داود : (قاتَل اللَّه اليهود اتَخَذوا قبور أنبيائهمْ مساجد) . (٥١)

---

(٤٧) حسنه الترمذي وتبعه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند وسنن الترمذي وفيه أبو صالح مولى أم هانئ قال عبد الحق هو ضعيف عندهم قال ابن الملقن البدر المنير أن تحسين الترمذي غير جيد ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٤٦١٩)

(٤٨) حديث جندب بن جنادة رضي الله عنه رواه مسلم ٢ / ٦٧ .

(٤٩) أخرجه أحمد (رقم ٣٨٤٤، ٤١٤٣، ٤١٤٤، ٤٣٤٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا .

(٥٠) حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٥١) أخرجه البخاري (١ / ٤٢٢) ومسلم (٢ / ٤٠٠) وأبو داود (٢ / ٧١) وأحمد (٢ / ٢٨٤، ٣٦٦، ٣٩٦، ٤٥٣، ٥١٨)

وأخرج أحمد عن أسامة ، وأحمد والشيخان ، والنسائي عن عائشة وابن عباس ، ومسلم عن أبي هريرة :(لعن الله اليهود والنصارى اتَخذوا قبور أنبيائهِمْ مساجدَ) . ([٥٢])

وأخرج أحمد والشيخان والنسائي : (أُولئك إذا كَان فيهِم الرجل الصالح فمَات بنوا على قبره مسجدا ، وَصوروا فيه تِلكَ الصور أولَئك شرار الخَلق عِند اللَّه يوم القيامة) . ([٥٣])

وأخرج ابن سعد : (ألا إن من كان قَبلَكم كَانوا يتخذون قبور أنبِيائهم وصالِحيهم مساجِد فلا تَتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلكَ) . ([٥٤])

وأخرج عبد الرزاق (إن من شر الناس من يَتخذ القبُور مساجد) ([٥٥]) وَأَيْضًا :

(كانت بنو إسرائيل اتخذوا قبُور أنبيائهِمْ مساجِد فلعنهم اللَّه تعالى([٥٦])

([٥٢]) انظر التخريج السابق .

([٥٣]) سبق تخريجه .

([٥٤]) رواه مسلم أيضا .

([٥٥]) رواه في مصنفه (١٥٨٦) عن معمر والثوري عن أبي إسحاق والحارث عن علي وأحسب معمرا رفعه قال من شرار الناس من يتخذ القبور مساجد .

([٥٦]) رواه عبد الرزاق (١٥٩١) عن بن جريج عن عمرو بن دينار وسئل عن الصلاة وسط القبور قال ذكر لي أن النبي صلى الله عليه و سلم فذكره .

وقال صلى الله عليه وسلم (لا تتخذوا قبري وثنا يعبد بعـــدي)([57]) ، أي لا تعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم انتهى من الزواجر بنوع تصرف .([58])

وبما ذكر في الأحاديث الصحيحة الصريحة يعلم أن بناء القبور وتـــشريفها ، واتخاذ القباب عليها ، والتوابيت ، وإيقاد السرج مما لم يأذن به الله ولا رسوله ، وإنما إحداث دين لم يكن ، وفاعل ذلك هالك ، خاسر ، متعرض لسخط الله ورسوله ، مستوجب للعنة والإبعاد ، كما جاء في الحديث ، فقد لعن رســـول الله صلى الله عليه وسلم من اتخذ قبور أنبيائه مساجد ، وجعل من فعل ذلـــك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة .

وفيه تحذير ونهي لنا كما في رواية (يحذر ما صنعوا) أي يحذر أمته بقولــه لهم ذلك من أن يصنعوا كصنع أولئك فيلعنوا كما لعنوا ، وما ذاك إلا لكونـــه وسيلة من وسائل الشرك .

واتخاذ القبر مسجدا معناه الصلاة إليه أو عليه كما مر سيما إذا كـــان قـــبر معظم من نبي أو ولي لأنه مظنة الفتنة كما أشارت إليه (إذا كان فيهم الرجل الصالح) ومن ثم جزم أئمتنا من أهل السنة والجماعة بحرمة الصلاة إلى قبـــور الأنبياء والأولياء تبركا وإعظاما ، وبحرمة اتخاذ السرج على القبور ، وقد صرح

([57]) رواه عن أحمد أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا بلفظ : (اللهم لا تجعل قبري وثنا) ، ورواه مالك في الموطأ عن عطاء بن يسار مرسلا بلفظ : " اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) وروي موصولا عن أبي سعيد .

([58]) الزواجر ١ / ٣٨٦ .

صلى الله عليه وسلم في الحديث بلعن من اتخذ على القبر سراجا ، والحكمة في جميع ذلك حسم مواد الشرك ، وقطع أسبابه .

الصلاة عند القبور والوقف والنذر عليها أو لها

قال الشيخ ابن حجر في كتابه الزواجر : قال بعض الحنابلة : إن قصد الرجل الصلاة عند القبر متبركا بها عين المحادة لله ورسوله ، وإبداع دين لم يأذن به الله ، للنهي عنها ثم إجماعا ، فإن أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها ، واتخاذها مسجدا أو مساجد ، والبناء عليها ، والقول بالكراهة محمول على غير ذلك ، إذ لا يظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن فاعله ، وتجب المبادرة لهدمها ، وهدم القباب التي على القبور ، إذ هي أضر من مسجد الضرار ، لأنها أسست على معصية الله ومعصية رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه نهى عن ذلك ، وأمر صلى الله عليه وسلم بهدم القبور المشرفة ، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر ، ولا يصح وقفه ونذره) إ . هـ (٥٩)

أقول وهو عين الصواب ، والدين الحق ، والطريق المستقيم ، وهو الذي نعتقده بقلوبنا ، وندين الله تعالى به ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة ومعتقدهم ، كما هو مقرر في كتبهم ، ومزبور في مجلداتهم :

---

(٥٩) الزواجر ١ / ٣٨٦ .

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد [٦٠]

فالدين الحق هو ما شرعه الله ورسوله ، وما سواه فهو الباطل والضلالة ، ولا خفاء أن هذه القبائح وأمثالها من حوادث الضلالات التي يشير إليها قوله صلى الله عليه وسلم (كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار) [٦١] وقوله عليه الصلاة والسلام (من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله) [٦٢] ، وقوله صلى الله عليه وسلم (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) .[٦٣]

فيجب على من له قدرة إبطال ذلك بما استطاع من تغيير بيد ، أو لسان أو إنكار بقلب ، وذلك أضعف الإيمان .

الحلف بغير الله شرك وكفر به

ومن البدع المنهي عنها الحلف بغير الله كالحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والأمانة والروح والرأس ونحوها ، وقد جعل بعض العلماء ذلك من كبائر الذنوب بل جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الحلف بغير الله كفر أو شرك ، فقد أخرج الترمذي وحسنه ، وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما :

---

[٦٠] منهج أهل السنة لا يكون إلا حقا ورشدا .

[٦١] رواه النسائي (١٥٧٨) وابن ماجة (٤٥) عن جابر مرفوعا .

[٦٢] رواه أبو داود والنسائي عن علي رضي الله عنه مرفوعا انظر صحيح الجامع ٦٦٦٦ .

[٦٣] متفق عليه من حديث عائشة .

(من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) .([٦٤])

وأخرج الشيخان وغيرهما (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)([٦٥]) .

واخرج ابن ماجة أنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يحلف بأبيه فقال (لا تحلفوا بآبائكم ، من حلف فليحلف بالله ، ومن حلف له بالله فليرض ،ومن لم يرض بالله فليس من الله) ([٦٦])

وأخرج الحاكم (كل يمين يحلف بها دون الله شرك)([٦٧]) وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال (لأن أحلف بالله وأنا كاذب أحب إلي من أن أحلف بغير الله وأنا صادق)([٦٨]) وأخرج أبو داود (من حلف بالأمانة فليس منا) ([٦٩]) ، انتهى من الزواجر .([٧٠])

([٦٤]) أخرجه أحمد والترمذي وأبو داود وابن حبان و الحاكم أن ابن عمر سمع رجلا يقول : لا ، والكعبة ، .. و قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، قال البيهقي: و هذا مما لم يسمعه سعد بن عبيدة من ابن عمر ثم ساق رواية من طريق الإمام أحمد ، إرواء الغليل ٨ / ٢٨٢ .

([٦٥]) أخرجه البخاري ٢/١٦١ و ٤/١٣٧ و ٢٦٢ ـــ٢٦٣ ومسلم (٥/٨١).

([٦٦]) أخرجه ابن ماجه (٢١٠١) عن ابن عمر قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يحلف بأبيه فقال : ... .قال البوصيري في الزوائد ٢/١٣٠ و هذا إسناد صحيح رجاله ثقات .

([٦٧]) رواه الحاكم عن ابن عمر مرفوعا انظر صحيح الجامع (٤٥٦٧) .

([٦٨]) رواه الطبراني موقوفا ورواته رواة الصحيح انظر صحيح الترغيب والترهيب ٣ /٧٦ .

([٦٩]) رواه أبو داود عن بريد مرفوعا انظر صحيح الجامع (٦٢٠٣).

([٧٠]) الزواجر ٣ / ٢٠٥ .

حفلات الموالد عند القبور

هل اتخاذ الموالد عند القبور جائز أم ممنوع مثل الصلاة ؟ محل تأمل ([٧١]) ، والذي يظهر من مفهوم الأحاديث الواردة في منع الصلاة عند القبور أنه يمنع فعل الموالد عندها بالأولى ، لأنه إذا حرمت الصلاة عندها لأجل التبرك بذويها فمن باب أولى أن يقطع بمنع فعل الموالد والاجتماعات لها عندها .

ولأن المعنى الذي حرمت الصلاة عند القبور من أجله وهو التبرك بصاحب القبر ، ولكونه وسيلة للشرك هو موجود في فعل الموالد عندها ، بل زيادة على ذلك ، فالمصلي عند القبر إنما يقصد الله وحده بالعبادة ، وإنما حرم عليه فعلها هناك من أجل التبرك مع ذلك بصاحب القبر .

والمولد إنما يتخذ عند القبر لأجل تعظيم صاحب القبر أو التبرك به لا غير ، وإلا فلماذا يفعلونه هناك ، فإن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليست مقيدة بزمان ولا مكان ، فالمعنى الذي حرمت الصلاة عند القبور من أجله موجود في فعل الموالد عندها وزيادة ، فيكون حريا بالمنع حينئذ ، ولا نقول بمنع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند القبور كما قد يتوهم ، وإنما نقول بمنع الاجتماعات للموالد عندها لأنها وسائل الشرك فهي أحق بالمنع من الصلاة عندها ، وهذا بخصوص المولد .

([٧١]) فعل المولد بدعة مطلقا عند القبور وغيرها .

ما يسمى الزيارات المعروفة في الجهة

أما الاجتماعات على الهيئات المعروفة في الجهة عند القبور ـ بمنطقتنا ـ في بعض أيام السنة ويسموها الزيارات فحرام قطعا لما فيها من اختلاط الرجال بالنساء (٧٢) مع ما يترتب على ذلك من المفاسد والقبائح مثل الزنا واللواط ونظر الأجنبيات ونشوز الزوجات وغيره من القبائح الظاهرة والباطنة .

والمتصدي لذلك القائم فيه ممقوت ، وحكمه حكم القواد فإنه هو السبب في ذلك المنكر ، وما يترتب عليه من الشرور .

وقد اتخذ ذلك في الجهة عبادة مؤكدة لبعض القبور في كل سنة حتى أنه إذا ترك في بعض السنوات تعتقد العامة وجود الشر بسبب ترك ذلك ، ويعتقدون أن من سعى في إبطاله يصيبه صاحب المقام بسوء ، وبعضهم يقول بل ويعتقد : (أن من حضر سبع مرات عند قبر على مثل تلك الحالة كأنما حج بيت الله الحرام) !! (٧٣)، وهذا هو عين الكفر والشرك بالله تعالى .

---

(٧٢) من طالع ما كتب عن زيارة سعيد العمودي في قيدون في آخر جمعة من رجب ، وزيارة سالم العطاس بالشحر في منتصف المحرم رأى مراد الشيخ ، فقد جاء في الشامل أن شوارع قيدون تمتلئ بالنساء والرجال في زحام يتضاغطون يموج بعضهم في بعض ، وربما قال ذو العقائد الزائغة أن بحر الشيخ سعيد يحمل !! وجاء في النفحات المسكية الابتلاء بحضور الرجال والنساء في زيارة سالم العطاس وترى الجاهل يقول أن حال الولي يسع !!

(٧٣) في صلة الأهل نقلا عن تاريخ باحسن الشحري عن بعض العارفين قال : من زار قبر الشيخ فضل ـ يعني ابن عبد الله بافضل ـ سبع جمع متوالية كتبت له حجة مبرورة !! ص ١١٨ .

وبعض الجهلة يوقف على مثل هذه الجرائم وقائف ، ويجعلها باسم المقـام ، ولا شك أن هذا المقام مقام أهل النار ، فيحرم الوقف على ذلـك ، وتحـرم الصدقة لكونه إعانة على المعصية ، ولا تجوز الإعانة عليه بقهوة ولا بـدخون ولا غيره ، فمن أعان في ذلك بشيء فهو من جملة العاصين الممقوتين .

فيجب ويتعين على المتصدين لفعل هذه المناكر القائمين فيها تركها وإبطالها بالكلية لكونها مخالفة للشريعة ، وفاعلوها متعـدون لحـدود الله محـادون الله ورسوله ، وما فعل من محرمات في ذلك فعلى القائم في ذلك الشر إثم الجميـع من غير أن ينقص من آثامهم شيء ، وعليه وزر تلك البدعة بعد موتـه أيـضا لقوله صلى الله عليه وسلم (من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرهـا ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء).[٧٤]

وبذلك يعلم أن جميع الزيارات المعمولة في الجهة من أقبح المناكر ، وأفظـع العواهر المخالفة للشريعة الغراء ، فإنها كلها شؤم ، وضلالة وشر عاجل وآجل ، ولم يكن فيها إلا اختلاط الرّجال بالنساء لكان أجدر بالمنع فكيف إلا وهي سبب جلي للزنا واللواط والقمار وكثير من المحرمات .

---

(٧٤) رواه مسلم عن جرير مرفوعا .

الزيارات يحضرها من يظن فيه الصلاح والعلم

فإن قيل : إنه قد يكون فيها مولد يجتمع فيه كثير من الأخيار فنقول : كل من خرج في مثل هذا فهو من الأشرار الفجار ، ليس من الأخيار ، وترك المولد في مثل هذا أولى ، بل فعله عند المقابر بدعة مضلة ، وعلى فرض جوازه فتركه أصوب وأرشد ، لأن فعل الخير إذا ترتب عليه مفسدة يترك ، فمن القواعد الكلية أن درء المفاسد أولى من جلب المصالح .

وإن قيل إنه قد يتفق أن يخرج طالب علم يذكر الناس ببعض الواجبات فنقول : لا تكون فائدة التذكير أعظم من فائدة ترك هذه المناكر الشنيعة كما هو ظاهر للمتأمل المنصف ، والخروج لمثل ذلك من المحرمات الممقوت فاعلها .

ولا عجب من فاعلي هذه الأمور لكونهم سفهاء جهلاء ، وإنما العجب كل العجب من طلبة العلم الذين من لف خرقة بيضاء على رأسه سارع مهرولا إلى تكثير سواد أهل الضلال ، ولا خفاء أن الزيارات المعروفة في الجهة مناكر وضلالة لما اشتملت عليه من الأمور المخالفة للشريعة ، فكيف يسوغ الحضور مع أهل المنكر ، والواجب شرعا تغيير المنكر للقادر عليه ، ومن لم يقدر على تغييره وجب عليه مفارقة الموضع ، موضع المعصية ، فكيف إلا بالخروج إليه ، اللهم إلا إن كان بحضوره يزال المنكر فلا بأس بالحضور بل يجب ، وأنى لنا بذلك ! فيحق حينئذ على كل من خرج لمثل هذه المناكر أنه من أهل المنكر كائنا من كان .

الشيخ ابن حجر والاجتماع للمولد

وفي الفتاوى الحديثية للشيخ ابن حجر الهيتمي ما نصه : وسئل ــ نفع الله به ــ عن حكم المولد والأذكار التي يفعلها كثير من الناس في هذا الزمان هل هي سنة أم فضيلة أم بدعة ؟ فإن قلتم فضيلة فهل ورد في فضلها أثر عن السلف أو شيء من الأخبار ؟ وهل الاجتماع للبدعة المباح جائز أم لا ؟ وهل إذا كان يحصل بسببها أو سبب صلاة التراويح اختلاط واجتماع بين النساء والرجال ، ويحصل مع ذلك مؤانسة ومحادثة ومعاطاة غير مرضية شرعاً ، وقاعدة الشرع مهما رجحت المفسدة حرمت المصلحة ، وصلاة التراويح سنة ، ويحصل بسببها هذه الأسباب المذكورة فهل يمنع الناس من فعلها أم لا يضر ذلك ؟

فأجاب بقوله : الموالد والأذكار التي تفعل عندنا أكثرها مشتمل على خير ، كصدقة ، وذكر ، وصلاة وسلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومدحه ، وعلى شرّ بل شرور لو لم يكن منها إلا رؤية النساء للرجال الأجانب ، وبعضها ليس فيها شرّ لكنه قليل نادر ، ولا شكّ أن القسم الأول ممنوع للقاعدة المشهورة المقررة أنَّ درء المفاسد مقدَّم على جلب المصالح .

فمن عَلِم وقوع شيء من الشرّ فيما يفعله من ذلك فهو عاص آثم ، وبفرض أنه عمل في ذلك خيراً ، فربما خيره لا يساوي شَره ألا ترى أن الشارع (صلى الله عليه وسلم) اكتفى من الخير بما تيسر ، وفَطَم عن جميع

أنواع الشر حيث قال : (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نَهيتكم عن شيء فاجتنبوه) ([٧٥]) فتأمله تعلم ما قررته من أن الشر وإن قلّ لا يرخصُ في شيء منه ، والخير يكتفى منه بما تيسر .

... وحيث حصل في ذلك الاجتماع لذكر ، أو صلاة التراويح أو نحوها محرم ، وجب على كل ذي قدرة النهي عن ذلك ، وعلى غيره الامتناع من حضور ذلك ، وإلا صار شريكاً لهم ، ومن ثم صرح الشيخان بأن من المعاصي الجلوس مع الفساق إيناساً لهم . ([٧٦])

فلان اشتهر وفلان سرج

ومن الضلالات المضلة ما يخيل لبعض البعداء أنه يرى سراجا في مكان ، أو يرى في منامه كأن بعض الصالحين أسرج في بعض الأمكنة سراجا فيبادر ويجعل في ذلك الموضع صورة صنم على هيئة قبر ويسميه باسم بعض الصالحين ، ثم تلقبه العامة بالمشهور ، ويقولون : فلان اشتهر في المكان الفلاني ، وفلان مشهور في كذا !([٧٧])

([٧٥]) رواه مسلم وأحمد والنسائي عن أبي هريرة مرفوعا .

([٧٦]) الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي ١ /١١٠ . وسبق ــ تعليقا ــ أن حكم المولد بدعة .

([٧٧]) من العجيب ما ورد في هامش الطرف الأحور لأبي بكر المشهور أن جماعة رأوا على ساحل البحر نورا يلمع أمامهم فلما بلغوا عنده وجدوه عظما فتركوه وساروا في طريقهم فعاد النور الأول خلفهم فرجعوا فلم يجدوا سوى العظم فتركوه وتكرر لهم رؤية النور ، فحمله زعميهم فلما بلغوا =

وما درى البعيد أن ذلك شيطان سوّل له ، وألقى في قلبه هذه التخيلات ، والترغات الخبيثة المضلة .

ثم أنهم يتخذون صنما ينذرون له النذور والصدقات ، ويفعلون عنده الموالد تعظيما له ، ويوقدون عليه السرج ، ويعظمونه تعظيم الكفار لأوثانهم (أولئك الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) فلا جرم أن هذا من وسائل الشرك إن لم يكن شركا .

وقبائحهم في مثل هذا كثيرة شهيرة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم محذرا من مثل هذه الجرائم (لا تتخذوا قبري وثنا يعبد من بعدي)[78] أي لا تعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم .

ولا تعرف جريمة الاشتهار إلا في هذا القطر ، وربما في أقطار إسلامية أخرى لا نعرف عنها شيئا يذكر ، وهي من مخترعات الزنادقة الملاحدة في الدين ، فهي أوثان تعبد من دون الله ، فلو كان الاشتهار من سن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم أو من سنة خلفائه لكانوا أحق به من غيرهم ، فإنه لم ينقل و لم يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من خلفائه وأصحابه أنه اشتهر .

= علبوب ثقل عليه و لم يستطع حمله فتركوه ، وفي تلك الليلة رأى من يقول له : أنا صاحب العظم وعرفه باسمه باعديل وأمره أن يدفنه في ذات الموضع فدفنوه وجعلوا عليه تابوتا وقبة !! ص ٢٦١ .

(٧٨) سبق تخريجه .

وقد بعث الله في العالم مائة ألف نبي وعشرين ألف نبي ،([79]) ولا نرى أحدا يقول : هذا نبي الله فلان اشتهر أو مشهور ، ولا اشتهر أبو بكر ولا عمـــر ولا عثمان ولا علي ولا غيرهم من الصحابة والتابعين ، فليس ذلك إلا ضـــلالات وأسباب للشرك تلقيها الشياطين في قلوب بعض الملحـــدة ، وتجريهـــا علـــى ألسنتهم ، فهم أعداء الله في أرضه قاتلهم الله أنى يؤفكون .وفي هذا كفاية وإلا فالميدان رحب ، والمقصد فسيح .

النهاية

انتهى ما رمت إيراده في هذه العجالة ، وقد جاء ـــ بحمـــد الله تعـــالى ـــ مطرزا بالنقول الصحيحة ، والأدلة الصريحة ، تقرّ به عـــين المحـــب الـــودود ، وتكمد به نفس الجاهل الحسود ، وإلى الله العظيم أرغب أن يجعلـــه خالـــصا لوجهه الكريم ، والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا اله ونعم الوكيل ، و حـــول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، و صلى الله على سيدنا محمد الـــنبي الأمـــي ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليما دائما إلى يوم الدين .

([79]) رواه البيهقي من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعا ، تفرد به يحي بن سعيد السعيدي .

ملاحظة

وكان الفراغ من تسويده لسبع بقين من شهر جمادى الأولى من سنة الثلاثة والأربعين بعد الثلثمائة والألف هجرية على صاحبها أفضل الصلاة ، وأتم التحية . كتبه عبد الله عوض بكير .

وكتبت بخط عبد الرحمن عبد الله عوض بكير ، وانتهيت من استنساخها ظهر يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر شعبان المكرم من عام ألف وثلاثمائة وواحد وتسعين ، الرابع عشر من شهر أكتوبر من عام ألف وتسعمائة وواحد وسبعين ، جزى الله عنا مؤلفها سيدي الوالد ومتعنا به أفضل ما يجزي العلماء المخلصين ، وأوسع ما يمتع الأبناء البارين اللهم آمين عبد الرحمن عبد الله بكير .

الفهرس:

ـــ تمهيد ٣

ـــ مقدمة بقلم الشيخ عبد الرحمن بكير ٦

ـــ يجب الإيمان بالله سبحانه إيمانا مطلقا ١٥

ـــ كل ما في الكون بقضاء وقدر ١٥

ـــ وجوب الاعتماد على الله وحده ١٦

ـــ لا يجوز سؤال غير الله ولا دعاؤه ١٧

ـــ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ١٧

ـــ الاستعانة لا تكون إلا بالله ١٨

ـــ دعاء غير الله شرك ١٩

ـــ ألفاظ شركية تلفظها العامة ١٩

ـــ اعتقادات شركية تعتقدها العامة ٢١

ـــ يجب التحذير من كل ما يجر إلى الشرك ٢١

ـــ وجوب تصحيح الاعتقاد وتصفية الباطن ٢٢

ـــ العلماء المضلون المفتونون ٢٣

ـــ بدع فاشية أو هي كفر صريح ٢٣

ـــ بدعة الحضرات في المساجد ونتائجها السيئة ٢٤

ـــ حال أئمة المساجد مع الحضرات ٢٥

ـــ أكثر البدع محدثة في الجهة ٢٦

ـــ الحبشي والمبتدعة ٢٦

ـــ التوسل غير الدعاء ٢٧

ـــ المبتدعون جهلة غير مؤتمنين على الشريعة ٢٩

ـــ بداية عبادة الأوثان في الأرض ٣٠

ـــ البدع في الدين ابتداء وسيلة من وسائل الشرك انتهاء ٣٢

ـــ نهي الإسلام عن البدع حسم لوسائل الشرك ٣٣

ـــ جميع بدع القبور منافية للدين ٣٤

ـــ الفعل المفضي إلى المفسدة ممنوع شرعا ٣٥

ـــ مع الشيخ ابن حجر في بدع القبور ٣٧

ـــ الصلاة عند القبور والوقف والنذر عليها أو لها ٤١

ـــ الحلف بغير الله شرك وكفر به ٤٢

ـــ حفلات الموالد عند القبور ٤٤

ـــ ما يسمى الزيارات المعروفة في الجهة ٤٥

ـــ الزيارات يحضرها من يظن فيه الصلاح والعلم ٤٧

ـــ الشيخ ابن حجر والاجتماع للمولد ٤٨

ـــ فلان اشتهر وفلان سرج ٤٩

ـــ النهاية ٥١